مجلة مدرسة الإسكندرية
عدد ١٠

الاحتفال بعيد الميلاد
أقدم الوثائق الليتورجية المصرية

بيشوي رمزي ويصا

الاحتفال بعيد الميلاد:

أقدم الوثائق الليتورجية المصرية

إعداد: بيشوي رمزي ويصا
beshoy_ramzy89@hotmail.com

تمهيد

من بين كل كتابات العهد الجديد، نستقي معرفتنا عن أحداث ميلاد الرب يسوع فقط من إنجيل القديس متى وإنجيل القديس لوقا، كلًّا على طريقته[١]، بينما الرسالة واحدة، مفادها أنَّ الذي وُلد هو ابن داود وابن الله في آنٍ واحد، فهو ابن داود الوارث كل تاريخ إسرائيل، وهو ابن الله الذي تجسد بطريقة عجيبة مجدًا لإسرائيل ونورًا إلى كلِّ الأمم. وما يفسِّر لنا قلةَ المصادر عن أحداث الميلاد هو ما نستنتجه من سفر الأعمال والرسائل أنَّ الجماعة الكنسية الأولى، في وعيها العام، كانت تتوقع قُربَ نهاية العالم وظهور الربِّ παρουσία، ومن هنا جاء عدم الاهتمام بالأحداث الزمنية الماضية والتطلع إلي قُرب مجيء المسيح يسوع[٢]. ولذلك لا نجد أيَّ ذِكرٍ لتذكار إحتفاليّ لميلاد الربِّ يسوع في كتابات العهد الجديد.

تاريخ ميلاد المسيح في الكنيسة الأولى

في القرون الثلاثة الأُولى للمسيحية لم يكن هناك احتفالٌ بيوم "عيدٍ" إلا الاحتفال بيوم "الأحد" من كل أسبوع بسر "الفصح"[٣] وأيضًا الاحتفال

---

[1] Raymond E. Brown, *A Coming Christ in Advent: Essays on the Gospel Narratives Preparing for the Birth of Jesus*, (Collegeville: The Liturgical Press, 1988), pp. 7-15.

[٢] يظهر هذا بوضوح في المعنى المزدوج للمصطلح الآرامي في (١كو١٦: ٢٢) و (الديداخي ١٠، ٦): "مارانا ثا: Μαραναθα" بين "تعال يا ربنا/ مارانا ثا: Μαρανα θα" و "الرب يأتي/ ماران أثا: Μαραν αθα"، انظر:
B. Botte, "Maranatha", in: B. Botte, E. Melia, *Noël-Épiphanie: retour du Christ*, Lex Orandi 40 (Paris: Éditions du Cerf, 1967), pp. 25-42.; Fitzmyer, Joseph A., "New Testament Kyrios and Maranatha and Their Aramaic Background", *To advance the Gospel: New Testament studies* (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1998), pp. 218-235.

[٣] انظر: *الديداخي* ١٤، ١ ؛ يوستينوس الشهيد، *الدفاع الأول* ٦٧.

السنوي لنفس العيد، والذي نطلق عليه اليوم "عيد القيامة"، فلم يتم التحديد الدقيق لليوم الذي وُلد فيه المسيح وبالتالي الاحتفال بهذا اليوم، وإن كانت هناك بعض المحاولات المُخلصة التي تستحق التقدير[٤].

أول إشارة تشهد لنا عن محاولة تحديد تاريخ ميلاد المسيح كانت **للقديس كليمندس السكندري** (†٢١٥م) في أواخر القرن الثاني، فيكتب:

"من يوم ميلاد المسيح، إذًا، إلى موت كومودوس، إجمالاً: مئة وأربع وتسعون سنة، وشهر واحد، وثلاثة عشر يومًا. وهناك من يحدِّد ليس فقط سنة ميلاد الربِّ، ولكن أيضًا اليوم. و يقولون إنَّ ذلك حدث في اليوم الثامن والعشرين من أغسطس، وفي اليوم الخامس والعشرين من بشنس. وأتباع باسيليديس يعيِّدون ليوم معموديته، ويقضون الليلة السابقة [لذلك اليوم] في القراءات. ويقولون إنَّ ذلك كان في السنة الخامسة عشر للقيصر طيباريوس، اليوم الخامس عشر من شهر طوبه؛ والبعض يقولون إنَّ ذلك كان في الحادي عشر من نفس الشهر،... بالإضافة إلى آخرين يقولون إنه وُلد في الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين من برموده"[٥].

نستخلص من هذا المقطع أنه في أواخر القرن الثاني الميلادي، بالإضافة إلى وجود إحتفال بآلام المسيح وموته (الذي يذكره أيضاً)، بدأ الاهتمام بتاريخ ميلاد المسيح. وما يفسر لنا ذكر الاحتفال بمعمودية المسيح من قِبل شيعة باسيليديس الغنوسي[٦] هو أنه بحسب فكرهم،أن يوم معمودية المسيح ليس فقط هو يوم بداية خدمته وإنما هو يوم مولده الروحي الذي وهبه القوة[٧].

الجانب المهم بخصوص شهادة القديس كليمندس في هذا الأمر هو تفسير التواريخ التي ذكرها بالنسبة للتقويم اليولياني. أول تاريخ هو الفترة بين ميلاد

---

[٤] أثناسيوس المقاري (الراهب القس)، *الميلاد البتولي والظهور الإلهي: التاريخ الطقسي/ طقوس الصلوات*، طقوس أصوام وصلوات الكنيسة (٤/٣)، الدرة الطقسية، (مطابع النوبار، ٢٠١١م)، صـ ٩٠-٩١.

[5] Clement of Alexandria, *Stromata* 1. 21. (ANF, vol.2, p. 333).

[6] Birger A. Pearson, "Basilides the Gnostic", in: ed. Antti Marjanen, Petri Luomanen, *A Companion to Second-Century Christian "Heretics"* , (Leiden: Brill, 2005), pp. 1-31.

[٧] يشرح لنا ق. إبيفانيوس أسقف سلاميس باقتباسه من 'إنجيل الأبيونيين' : 'أنت هو ابني الحبيب الذي فيه أنا سُررت، اليوم وَلدتُك'، أنه بحسب الفكر الغنوسي للأبيونيين أن المسيح وُلد في المعمودية ، وقبل ذلك الحدث كان فقط 'يسوع'! انظر: Epiphanius, *Pan.* 30:13.7,14.4. (GCS, Epiphanius I: 350.16-17, 351.17-20).

المسيح وموت كوموديوس (الذي مات في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢م)، وبذلك يكون ميلاد المسيح في ١٨ نوفمبر سنة ٤/٣ ق.م. أما التاريخ الثاني فهو السنة الثامنة والعشرون من حكم الإمبراطور أغسطس (كانت أول سنة من حكمه هي عام ٣٠/٢٩ ق. م). إذاً، يكون تاريخ ميلاد المسيح في ٢٠ مايو ٣/٢م. أما بخصوص تواريخ أتباع باسيليديس الذين يحتفلون بمعمودية المسيح، (انظر: لو٣: ١ ـ ٢٣)، وباعتبار السنة الخامسة عشرة لحكم طيباريوس قيصر (الذي تولى حكمه في عام ١٤م)، تكون سنة المعمودية هي ٣٠/٢٩م، أما الأيام فهي ١٥ و١١ طوبة، تقابل ١٠ و٦ يناير بالترتيب. وأيضًا بالنسبة للذين قالوا إنه يوما ٢٤ و٢٥ فإنهما يقابلان ١٩ و٢٠ أبريل بالترتيب[٨].

وهناك رأي لـ Roland Bainton يستحق الملاحظة، وهو أن القديس كليمندس، بسبب رغبته في تجميع كل الآراء الخاصة بالتواريخ، قد قام، سواء بقصد أو بغير قصد (نتيجة لصعوبة حساب أيام السنوات الكبيسة في العصور القديمة)، باستخدام تقويمين مختلفين في الحساب، منتقلاً بينهما دون إشارة. فهو يذكر، مثلاً، في البداية قائمة بالأباطرة الرومان بحسب التقويم السكندري اليولياني (السنة = ٣٦٥ يومًا وربعًا)، أما بخصوص تاريخ ميلاد المسيح المحسوب من زمن حكم الأباطرة فإنه يستخدم التقويم المصري القديم المعروف بـ annus vagus (السنة= ٣٦٥ يومًا فقط). وبذلك إذا أضفنا التسعة والأربعين يومًا للسنوات الكبيسة بين التقويم المصري القديم والتقويم السكندري اليولياني إلى يوم ١٨ نوفمبر، فذلك يعطينا أول إشارة بأن المسيح وُلد في يوم ٦ يناير، أما عند أتباع باسيليدس فإنه تعمَّد فى الثلاثين من عمره، وذلك في نفس اليوم، أي ٦ (أو ١٠) يناير أيضًا[٩].

في بداية القرن الثالث الميلادي يترك لنا **القديس هيبوليتوس الروماني** شهادته بخصوص تاريخ ميلاد المسيح. أول إشارة هي في 'الجداول

[8] Roland, H. Bainton, 'Basilidian Chronology and New Testament Interpretation' *Journal of Biblical Literature* 42/1, (1923), pp. 81-134.
[9] Idem. ; S. K. Roll, *Toward the Origins of Christmas* (Kampen, 1995), pp. 78-79.

الفصحية"[١٠] وهي ترجع للفترة ما بين ٢٢٢م و٢٣٥م. يورد الجدول على جانبه الأيسر قائمة بما يقابل يوم ١٤ نيسان في التقويم اليولياني لكل سنة بدءًا من عام ٢٢٢م. وطبقًا لهذا الجدول فإنه في عام ٣٠م، والذي يفترض أنها السنة التي صُلب فيها المسيح، فإن يوم ١٤ نيسان يقع في الثامن من غُرة calends شهر أبريل[١١]، أي في يوم ٢٥مارس، ومن الواضح أنها لا تعطينا إشارة مباشرة إلى تاريخ ميلاد المسيح، ولكن سيتم ربط هذا التاريخ فيما بعد بيوم ٢٥ ديسمبر. وفي إشارة ثانية نجدها في تفسيره لسفر دانيال[١٢]، فإنه يذكر أيضًا أن المسيح تألم في يوم ٢٥ مارس، ويكون يوم ميلاده يوم الأربعاء ٢٥ ديسمبر في السنة الثانية والأربعين من حكم أغسطس، في سنة ٥٥٠٠ بعد خلقة آدم. وإذا سلمنا بهذا النص، تكون هذه هي أول إشارة مباشرة بأن يوم ٢٥ ديسمبر هو تاريخ ميلاد المسيح، إلا أن معظم الدارسين يعتقدون أن هذه الإشارة هي إضافة لاحقة على الكتاب وليست أصلية[١٣].

هناك وثيقة أخرى شبيهة بالجداول الفصحية، وهي المعروفة باسم "**الحسابات الفصحية**"[١٤] De Pascha Computus، وهي تستخدم حسابات زمنية تقليديّة وترتيبات زمنية للأعداد للوصول إلى نظام لتعيين تاريخ يوم ١٤ نيسان بحسب التقويم اليولياني للمسيحيين. هذا العمل منسوب خطأ للقديس كبريانوس أسقف قرطاجنة، ولكنه أيضًا من أصول أفريقية، ويمكن أن يرجع لسنة ٢٤٣م. تشير هذه الوثيقة لتاريخ ميلاد المسيح، وتحسبه بناءً على تاريخ بداية الخليقة وزمن إبراهيم وتاريخ الخروج، وتربطه بتاريخ الآلام.

---

[10] Margherita Guarducci, 'La statua di 'sant' Ippolito,' in: *Richerche su Ippolito*, Studia Ephemeridis Augustinianum 13, (Rome: Inistitutum Patristicum Augustinianum, 1977), pp. 17-30.

[١١] هي طريقة في الحساب كانت تستخدم قديمًا، وهي تشير إلى أوائل الشهر في التقويم الروماني، وتُحسب عن طريق حساب عدد الأيام المتبقية من الشهر السابق وإضافة يومين عليه، فيكون مثلاً: الأيام المتبقية من شهر مارس = ٦ (٣١-٢٥) ، بإضافة يومين = ٨ (٦+٢)، فيكون الثامن من غُرة أو بداية شهر أبريل يقابل يوم ٢٥ مارس.
T.P. Wiseman, "The Kalends of April," in Idem, *Unwritten Rome.* (Exeter: University of Exeter Press, 2008), p. 140f.

[12] G. Bardy, M. Lefevre, (eds.), *Hippolyte: Commentaire sur Daniel*, SC 14, (Paris: Cerf, 1947), p. 187.

[13] S. K. Roll, *opt. cit.,*(1995), p. 80.

[14] George Ogg, (ed.), *The Pseudo-Cyprianic Computus*, (London: SPCK, 1955).

وتعطينا هذه الوثيقة بعض الرموز الحسابية، مثل: الارتباط الثلاثي بين 'الصليب' والحرف اليوناني 'T' ورقم ٣٠٠، وأيضًا، أهمية رقم ١٨ كمجموع عدد أرقام الحروف المكونة لاسم 'يسوع' Ιησοῦς باللغة اليونانية، وكذلك موت المسيح في السنة السادسة عشرة لحكم طيباريوس والسنة الحادية والثلاثين لحياة طيباريوس. النتيجة النهائية لهذه الرموز الحسابية يمكن تفسيرها بأن تاريخ ميلاد المسيح هو يوم الأربعاء ٢٨ مارس. وبالرغم من مدى تعقيد الحسابات الرمزية وعدم تأكيدها على تاريخ محدد للميلاد، إلا أنها تعطينا معلومات مفيدة عن العقلية التفسيرية للأرقام وأهميتها الرمزية في العصور الأولى للمسيحيين[١٥]، وهي نقطة سوف تلعب دورًا محوريًّا عند آباء الكنيسة فيما بعد بالنسبة لعيد الميلاد، فهي أول ما يربط بين ميلاد المسيح وبداية تكوين الخليقة. فالمسيح لابد أنه وُلد في اليوم الرابع، أي يوم خلقة الشمس، وذلك بافتراض أن أول يوم للخليقة كان في الاعتدال الربيعي spring equinox، أي في يوم ٢٥ مارس للتقويم اليولياني[١٦]. كذلك فهذه النقطة لها أيضًا إسهام لاهوتي في حسابات التواريخ المسيحية، وهي أن الله يعمل في التاريخ بطريقة كاملة، وبالتالي بأنظمة كاملة للأعداد الرمزية، فهو يقدِّر فكر الإنسان ومنطقه، ويسمح له بتقييم عمله الكامل والخلاصي في التاريخ[١٧].

---

[15] Hugo Rahner, *Greek Myths and Christian Mystery*, trans. by B. Battershaw, (New York: Harper and Row, 1963), p. 135.

[١٦] الاعتدال الربيعي هو الوقت الذي يتساوى فيه طول الليل والنهار، وقد كان يقابل يوم ٢٥ مارس في التقويم اليولياني، ثم جعله مجمع نيقية (٣٢٥م) يوم ٢١ مارس الذي يقابل يوم الاعتدال في التقويم السكندري، وهذا أدى إلى امتداد الفترة التي يقع فيها عيد الفصح إلى شهر من بداية الاعتدال. هذا الاعتدال كان يمثل قيمة رمزية عند آباء الكنيسة، فالاتزان الكامل بين الليل والنهار الذي يتبعه زيادة في طول النهار، الذي يمثل انتصار النور، هو يشابه ما ذُكر في قصة الخلقة الأولى في سفر التكوين (١: ١-٢٢)، فزمن بداية الخليقة هو زمن خلقة الشمس والقمر وانفصال الليل عن النهار في اليوم الرابع .

A. Chupungco, *The Cosmic Elements of Christian Passover*, Studia Anselmiana 72, Analecta Liturgica 3 (Rome: Anselmiana, 1977), pp. 40-49.

[17] S. K. Roll, *opt. cit.,*(1995), p. 81-83.

وإذا عُدنا إلى التقليد اليهودي المتأخر (في القرنين الأول والثاني للميلاد) من خلال حوار بين رابي يهوشوَّع بن حَنَنْيا ورابي إليعِزِر بن هورقانوس[١٨] في موضوع تعيين اليوم الآتي لفداء إسرائيل، فإننا نستنتج أن المفهوم الربّيني للزمن التاريخي المكون من سلسلة من السنوات المتعاقبة له طبيعة تكاملية، أي أن اليوم الذي صُنعت فيه الخليقة هو نفس يوم الفداء النهائي والأخير، وبنفس المنطق فإن أيام ميلاد بطاركة العهد القديم هي نفسها أيام موتهم[١٩] وبحسب رابي إليعِزِر فإن بداية الخليقة كانت في الخريف، بخلاف رابي يهوشوَّع الذي يرى أنها كانت في موسم الربيع. ويبين نص الحوار ثنائية زمن بداية السنة في التقليد الربيني، إما في أول شهور الربيع، أي شهر نيسان (مارس/إبريل)، أو في أول شهور الخريف، أي شهر تشرين (سبتمبر/أكتوبر)، وهذه الثنائية ليست بعيدة عن التقليد المسيحي.

أقدم دليل على تاريخ عيد الميلاد

هناك عوامل أساسية قامت عليها دورة الأعياد المسيحية في الكنيسة الأولي، أولها هو الميراث اليهودي الكبير المليء بالأعياد والمناسبات المؤسَّسة على أعمال الله الخلاصية في تاريخ شعب بني إسرائيل. ثاني هذه العوامل هو الإيمان المسيحي نفسه المؤَسَّس على الإيمان بالمسيح، المسيّا الآتي لفداء الخليقة من الخطية. ثالث عامل هو الثقافة الحضارية المعاصرة للكنيسة الأولى في ذلك الوقت، وهي بالأساس الثقافة اليونانية ـ الرومانية (الهيلينستية) أو ما يقابلها من ثقافات محليّة لكل بلد أو مدينة في العالم القديم كما تفاعل معها المبشرون الأوائل بالمسيحية بكل ما فيها من أفكار وتقاليد وعادات وأديان مختلفة[٢٠]. كل هذه العوامل أثرت في تكوين العقلية المسيحية والفهم المسيحي لدورة الأعياد الكنسية. والمعروف أنه في الكنيسة الأولى لم يكن

---

[18] Tal. bab., *Rosh Hashanah* 10b-12a.

[19] A. Strobel, *Ursprung und Geschichte des frühchristlichen Osterkalenders*, (Berlin: Akademie-Verlag, 1977), S. 128-133; T. J. Talley, *The Origins of the Liturgical Year,* (Collegeville: The Liturgical Press, 1991), pp. 81-83.

[20] Helmut Merkel, 'Feste und Feiertage. IV. Kirchengeschichtlich.' *Theologische Realenzyklopädie*, Bd. 11, (Berlin: Walter De Gruyter, 1983), S. 115.

قد حُدد بعد شكل متكامل لدورة السنة الليتورجية (أو الطقسية) بالشكل الذي نراه في العصور الوسطي أو الحديثة[٢١]، ولكن في غضون القرن الرابع يمكننا الحديث عن سلسلة أو دورة من الأعياد السنوية المتتابعة. فقد تبنت الكنيسة في ذلك الوقت مفهوم الإدراك التاريخي لأعمال الله الخلاصية كأساس وعيها بالفكر الأخروي ومجيء المسيح المسيطر عليها منذ نشأتها[٢٢].

إن أول وثيقة أصلية حفظت لنا يوم ٢٥ ديسمبر كيوم ميلاد المسيح مصدرها الغرب المسيحي، وهي وثيقة زمنية Chronograph تُعرف باسم **'التقويم الفيلوكالي'**[٢٣]، نسبة إلى مؤلفها فوريوس ديونيسيوس فيلوكالوس. وترجع هذه الوثيقة إلى عام ٣٥٤م، وقد أرسلها فيلوكالوس إلى شخص يُدعى فالينتينوس، ثم أُضيف إليها فيما بعد بعض العناصر الأُخرى. وتحتوي هذه الوثيقة على مجموعة من التواريخ المستقاة من مصادر مدنية ومسيحية، فنجد بها قائمة بقناصلة روما مع تواريخ ميلادهم Fasti Consulares في الفترة من عام ٥١٠ ق. م إلى عام ٣٥٤م، وجدول لتواريخ الفصح من سنة ٣١٢م إلى سنة٤١١م، وقائمة بولاة روما في الفترة ما بين عامي ٢٥٨م و٣٥٤م، وقائمة بأساقفة روما من بطرس إلى ليبيريوس، وقائمة بتواريخ وفاة أساقفة روما مع أماكن دفنهم Depositio episcoporum، وقائمة بتواريخ انتقال الشهداء مع أماكن دفنهم Depositio martyrum.

أول إشارة لتاريخ الميلاد جاءت في قائمة القناصلة الرومان، وهي كالتالي:

I p Cr. Caesare et Paulo sat. XIII Hoc cons. Dns. ihs. xpc natus est VIII Kal. Ian de ven. luna XV

---

[21] Willy Evenepoel, 'La délimitation de l' "année liturgique" dans les premiers siècles de la chrétienté. "*Caput anni liturgici* ", *Revue d'histoire ecclésiastique*, 83/3-4, (1988), pp. 601-616.

[22] T. Talley, "The Liturgical Year: Pattern of Proclamation," in id., *Worship: Reforming Tradition* (Washington, D.C. 1990), pp. 126-128.

[23] Michele Renee Salzman, *On Roman Time : The Codex-calendar of 354 and the Rhythms of Urban Life in Late Antiquity*, TCH 17, (USA: University of California Press, 1990); B. Botte, *Les origines de Noël et de l'Épiphanie* (Louvain, 1932), pp. 32-33; A. Heinrich Kellner, *Heortologie oder die geschishtliche Entwicklung des Kirchenjahres und der Heiligenfeste von den ältesten Zeiten bis zur Gegenwart*, (Herder, Freiburg, 1911), S. 88-89.

'وُلد المسيح أثناء حكم س. القيصر أغسطس ول. أيميليانوس باولوس في الثامن من غُرة يناير، (يوم) الجمعة، اليوم الـ ١٥ من القمر الجديد'.

وإن كانت هذه القائمة لا تتماشى مع القوائم البيروقراطية الرومانية في ذلك الوقت وهناك احتمال بعدم أصالتها ، أي إضافتها في وقت لاحق، إلا أنها من الأدلة الواضحة على تاريخ ميلاد المسيح[٢٤]. أما الإشارة القوية فنجدها مع بداية قائمة الشهداء، حيث نجد عبارة:

VIII Kal. ian. natus Christus in Betleem Judeae

'وُلد المسيح في الثامن من غُرة يناير في بيت لحم اليهودية'.

إن وجود هذه العبارة في بداية القائمة هو إشارة إلى أن يوم ٢٥ ديسمبر هو بداية السنة. ولكن وجودها بين قائمة الشهداء أمر يصعب تفسيره، فلم يُذكر مناسبة موت المسيح ولكن ميلاده[٢٥]، وربما يُفسَّر هذا بأن الكنيسة الأولى كانت تعتبر يوم الاستشهاد هو يوم الميلاد الحقيقي في السماء والانتقال إلى الحياة الأبدية. ولكن يرى البعض أن هذه القائمة ما هي إلا تجميع للأعياد دون رابط بينها. وبالرغم من عدم وجود أية إشارة لتاريخ ميلاد المسيح في قائمة الأساقفة إلا أنه جدير بالملاحظة أن القائمة تتبع الدورة السنوية من يوم ٢٥ ديسمبر إلى ٢٥ ديسمبر الذي يليه[٢٦].

هذا التاريخ، ٢٥ ديسمبر، لم ينتقل سريعًا بين الكنائس، وخاصة في الشرق، فنجد، مثلاً، إشارة عند العلامة أوريجينوس (القرن الثالث) يقول إن الخطاة فقط هم من يحتفلون بعيد ميلادهم مثل الوثنيين[٢٧]. ولا نجد أيضًا أية إشارة مباشرة لعيد الميلاد في **تقويم نيقوديموس**[٢٨]. وهذا التقويم عبارة عن

[24] A. Heinrich Kellner, *opt. cit.,* (1911), S. 92-94.
[25] H. Frank, 'Gründe, für die Entstehung des Römischen Weihnachtsfestes, in P. Theodor Bogler (ed.), *Weihnachten heute. Das Weihnachtsfest in der pluralistischen Gesellschaft* (Maria Laach: Ars Liturgica, 1966), S. 46-47.
[26] T. J. Talley, *opt. cit.,* (1991), p. 85.
[27] Origen, *In Leviticum homilia VIII*, M. Borret, (ed.), *Origène: Homélies sur le Lévitique II*, SC 287, (Paris: Cerf, 1981), pp. 16-17.
[28] C. Erbes, 'Das syrische Martyrologium und der Weihnachtsfestkreis' *Zeitschrift for Kirchengeschichte* 25 (1904), S. 329-379; 26 (1905), S. 1-58.

قائمة بتواريخ الشهداء، وقد تم جمعها عام ٣٦٣م باللغة اليونانية، ووصلت لنا في نسخة سريانية ترجع لعام ٤١١م. ويبدأ التقويم بعيد القديس إستفانوس، ويذكر أيضًا الاحتفال بعيد الإبيفانيا، والذي يحمل في الشرق مناسبات مختلفة، مثل: معمودية المسيح، ومعجزة قانا الجليل، ومعجزة إشباع الجموع، وغيرها، وذلك طبقًا للتقويم المحلي للكنائس المختلفة في الشرق). أما عيد الميلاد فلا يوجد له ذِكْر مباشر في هذا التقويم ، فعيد الميلاد لم يدخل الشرق إلا في أواخر القرن الرابع للميلاد[٢٩].

إن أقدم الأدلة على وجود احتفال بعيد الميلاد في الشرق في يوم ٢٥ ديسمبر نجده في عظة للقديس باسيليوس عن ميلاد المسيح[٣٠] حوالي عام ٣٧٩م. وفي نفس العام أو العام الذي يليه ألقى القديس غريغوريوس النيزينزي عظة[٣١] في القسطنطينية مشيرًا، أيضاً، إلى أنه أول من يحتفل بهذا العيد. أما في أنطاكية فأول من أدخل عيد الميلاد هو القديس يوحنا ذهبي الفم[٣٢] عام ٣٨٦م. أما أورشليم فقد دخل عيد الميلاد إليها متأخرًا في القرن السادس الميلادي[٣٣].

الأصول الأولى لعيد الميلاد

إن دراسة الأصول الأولى لعيد الميلاد (τὰ γενέθλια /*natalis*) مرت بمجادلات ومناقشات كثيرة بين الدارسين لليتورجيات المبكرة[٣٤]، فمنذ القرن الثامن عشر[٣٥] كان تفسير الاحتفال بعيد الميلاد يوم ٢٥ ديسمبر مأخوذًا بطريقة

---

[29] Hans Förster, *Die Feier der Geburt Christi in der Alten Kirche. Beiträge zur Erforschung der Anfänge des Epiphanie- und des Weihnachtsfests* (Studien und Texte zu Antike und Christentum 4). Tübingen 2000.

[30] *Homilia in s.Christi generationem*, (PG 31:1457D-76)

[31] *In sancta lumina oratio*,(PG 36:349).*; In theophaniam oratio 38,* (PG 36:311D-334);

[32] *In diem natalem Domini*,(PG 49:351).

[33] Hans Förster, *Die Anfänge von Weihnachten und Epiphanias Eine Anfrage an die Entstehungshypothesen*, Tübingen 2007, S.129-147.

[34] Susan K. Roll, "The Origins of Christmas: The State of the Question," in: Maxwell E. Johnson (ed.) *Between Memory and Hope: Readings on the Liturgical Year* (Collegeville, MN: Liturgical Press, 2000), pp. 273–290.

[35] Leonhard Fendt, "Der heutige Stand der Forschung über das Geburtsfest Jesu am 25.XII und über Epiphanias," *Theologische Literaturzeitung* 78.1 (January 1953) cols. 1-10.

مباشرة أو غير مباشرة من الاحتفال الوثني في روما لعيد "يوم ميلاد الشمس التي لا تُقهر" Dies natalis solis invicti، وهو العيد الذي أسسه الأمبراطور أوريليوس في عام ٢٧٤م، وذلك في زمن الانقلاب الشتوي للتقويم اليولياني يوم ٢٥ ديسمبر[٣٦]. ويرى البعض أن هذا العيد كان بمثابة العيد المسيحي المقابل للعيد الوثني، في حين يرى آخرون أن العيد الوثني تم تعميده، أي مسحنته وجعله عيدًا مسيحيًّا، وذلك اعتمادًا على إشارات كثيرة جاءت في كتابات الآباء تؤكد على أن المسيح هو شمس البر (ملاخي ٣: ٢٠)، وهو الذي أتى نورًا حقيقيًّا للعالم، وغيرها من التشابهات بين المسيح وعمله من جهة وبين ظهور النور والقضاء على الظلمة من جهة أُخرى. ويرى البعض أنه كان للإمبراطور قسطنطين دورٌ بارزٌ في ذلك اعتمادًا على إقراره في مرسوم ميلانو (٣١٢م) أن يوم الأحد أي 'يوم الشمس sun-day' هو يوم عطلة رسمية تكريمًا لقيامة المسيح بالإضافة إلى تكريم الشمس، في حين ينفي آخرون ذلك بأدلة قوية[٣٧]. ويوجد من يرى أن عيد الميلاد كان يُحتفَل به، باستعارته من الاحتفالات الوثنية، في شمال أفريقيا قبل عهد قسطنطين ثم انتقل إلى روما[٣٨].

---

[٣٦] هناك إشارات من القرن الأول قبل الميلاد على وجود عبادة للشمس sol indiges في عاصمة الإمبراطورية روما وذلك ضمن آلهة الشرقيين التي تبناها شعب روما، فنجد أن هناك طقوسًا لعيد الشمس المذكور في قوائم الأعياد Fasti في يوم ٩ أغسطس، وكان يحتفل به على هضبة الكويرينال، بالإضافة إلى المسلات التى تم شحنها من مصر في عهد أغسطس قيصر والتي كانت تعتبر من علامات عبادة إله النور أبولو. وبعد فترة من الاختفاء التدريجي المؤقت في القرن الثاني، والذي لم يمنع تكريم الشمس، تأثراً بالأفكار الأفلاطونية المحدثة، وأيضاً بقدوم الجنود الرومان من الشرق محملين بآلهة كانت بالنسبة لهم غامضة وبها شيء من الهيبة، ومن بينها الإله الفارسي 'ميثرا' إله النور والحق والولاء للعهد، الذي ظهر في روما في أواخر القرن الأول الميلادي، وظل مشهورًا حتى أصبحت الإمبراطورية مسيحية، وقد أضفي الرومان على هذا الإله الشرقي الطابع الروماني وجعلوه من الآلهة الذكور المحاربة، و جعلوه صديقًا للشمس، ثم بعد ذلك إلهًا لظهور الشمس. وقد كان يوم عيد ميلاده في ٢٥ ديسمبر. وهناك ايضًا من ربط ظهور الإمبراطور الكلي الألوهة بظهور الشمس، كما حدث في عهد الإمبراطور هادريان (†١٣٨م).

Gaston H. Halsberghe, *Het rijk van de zonnegod. De eredienst van Sol Invictus*, (Antewerp/Utrecht: Standaard, 1972), pp. 12-20.

[37] Thomas J. Talley, 'Constantine and Christmas,' *Studia Liturgica* 17 (1987): 191-197.

[38] Cf. H. Usener, *Religionsgeschichtliche Untersuchungen*, *Teil 1: Das Weihnachtsfest* (Bonn:F. Cohen, 1911); H. Lietzmann, *Geschichte der Alten Kirche III*, (Berlin, 1938), S. 321-29; K. Holl, *Gesammelte Aufsätze zur Kirchengeschichte II*, (Tübingen, 1928), S. 123-54; A. Baumstark, *Liturgie comparée* (Chevetogne, 1939) pp. 162-74; B. BOTTE, *Les origines de Noël et de l'Épiphanie* (Louvain, 1932); O. Cullmann, *Die Entstehung des Weihnachtsfestes* (stuttgart, 1990).

من المؤكد أنه تم ربط مفهوم المسيح كشمس البر، على أساس نبوة ملاخي، بيوم ميلاد الشمس التي لا تُقهر، ولكن لا يوجد لدينا أي دليل مبكّر يفسر هذا الترابط بتأسيس عيد الميلاد والاحتفال به في يوم ٢٥ ديسمبر، فأول إشارة لنا هي حاشية جاءت على هامش مخطوط من القرن الثاني عشر للكاتب السرياني ديونيسيوس بارصاليبي (١١٧١م) بخط مختلف، يفترض أنها أضيفت لاحقًا على الكتابة، يورد فيها هذا التفسير:

"وُلد الرب في شهر يناير، في اليوم الذي نحتفل فيه بالإبيفانيا؛ لأن القدماء احتفلوا بالميلاد والإبيفانيا في نفس اليوم... السبب في أن الآباء نقلوا العيد، المشار إليه، من السادس من يناير إلى الخامس والعشرين من ديسمبر هو، كما قالوا، الآتي: إنه من عادة الوثنيين أن يحتفلوا في نفس يوم ٢٥ ديسمبر بميلاد الشمس. ولكي يزينوا الاحتفال كان من عادتهم أن يشعلوا النيران ويدعون حتى المسيحيين لكي يشتركوا في طقوسهم. ولذلك، عندما لاحظ معلمو (الكنيسة) أن المسيحيين مقتنعون بهذه العادة، قرروا أن يحتفلوا بعيد الميلاد الحقيقي في نفس هذا اليوم؛ وبدأوا الاحتفال بالإبيفانيا في اليوم السادس من يناير، واحتفظوا بهذه العادة إلى اليوم بطقوس النار المشتعلة"[٣٩].

يفترض هذا النص تبني تقليدًا غير مسيحي وتقنينه في التقليد المسيحي. ولكن لا يمكننا الاعتماد على وثيقة متأخرة للتأريخ لأصل عيد الميلاد[٤٠]، بالإضافة إلى أن آباء الكنيسة الشرقيين الذين أدخلوا عيد الميلاد في الشرق في القرن الرابع الميلادي كانوا مقتنعين تمامًا أن يوم ٢٥ ديسمبر هو التاريخ الحقيقي لميلاد المسيح، ولا يوجد في ذهنيتهم أية أفكار على أن هذا العيد أُخذ من عيدٍ وثني[٤١].

[39] Joseph Simon Assemanus, *Bibliotheca orientalis Clemento-Vaticana*, vol. 2, (Rome, 1721), p. 164.
[40] B. Botte, *opt. cit.,* (1932), p. 66.
[41] T. Talley, *opt. cit.*, (1991), pp. 101-102.

في أواخر القرن التاسع عشر قام العالم Duchesne[٤٢] بدراسة الأصول الأولى لعيد الميلاد وأظهرت نتائجه رفضًا بأن يكون أصل عيد الميلاد مأخوذًا من العيد الوثني لميلاد الشمس، بل إن هناك تغيرًا حدث في دورة الأعياد بناءً على تغير في أفكار المجتمعات المسيحية وحساباتهم، مؤكدًا على علاقة تاريخ ٢٥ مارس بحساب تاريخ عيد الميلاد في الكنيسة الأولى. هذه الدراسة أكدت عليها فيما بعد دراسات باحثين آخرين أهمهم Engberding[٤٣]. وفي نهاية القرن العشرين أضاف عليها عالِم تاريخ الليتورجيات Talley حججًا مهمة[٤٤].

إن المصادر القديمة، مثل وثيقة الحسابات الفصحية، ولاكتنتيوس[٤٥]. وترتليان[٤٦]، وهيبوليتوس، وقائمة الأساقفة في التقويم الفيلوكالي، تؤكد على أن يوم ٢٥ مارس هو تاريخ آلام وموت المسيح.

ومن الجدل الذي حدث في القرن الثاني الميلادي حول تاريخ عيد الفصح نعرف أنه كانت هناك جماعة في آسيا الصغرى (ومناطق أخرى) تحتفل بالفصح يوم ١٤ نيسان مع عيد الفصح اليهودي، ولذلك سُموا بالاربععشريين Quartodeciman، وهذا اليوم يقابل بحسب نسختهم للتقويم اليولياني يوم ٦ أبريل، وبالتالي استطاعوا تثبيت عيدهم بهذا اليوم الذي يقابل اليوم الرابع عشر من أول شهور الربيع بحسب التقويم الروماني وهو شهر 'أرتيميسيوس'، وبذلك فصلوا تقويمهم عن التقويم القمري الذي يُحسب به الفصح اليهودي[٤٧]. وقد كان مناسبة الاحتفال بالفصح عندهم ليس فقط موت المسيح وقيامته، بل

---

[42] Louis Duchesne, *Origines du culte chrétien: étude sur la liturgie latine avant Charlemagn* (Paris, 1889), pp. 274-54; English Trans. *Christian worship: its origin and evolution; a study of the Latin liturgy up to the time of Charlemagne* (1903).

[43] H. Engberding, 'Der 25. Dezember als Tag der Feier der Geburt des Herm' *Archiv für Liturgiewissenschaft* 2 (1952), S. 25-43.

[44] Thomas J. Talley, *The Origins of the Liturgical Year* (Pueblo Books, Liturgical Press, Collegeville: 1991).

[45] J. Moreau, (ed.), *Lactance: De la mort des persécuteurs*, SC 38 (Paris: Cerf, 1954); P. Monat, (ed.), *Lactance: Institutions Divines* IV, SC 377 (Paris: Cerf, 1992), p. 90.

[46] *Adversus Iudaeos 8: 18* (E. Kroymann ed. *Tertulliani Opera*, CSEL, p.1363).

[47] Theodor Mommsen, 'Die Einführung des asianischen Kalendars', in *Gesammelte Schriften*, 5 (1908), S. 518-31.

وأيضًا يخبرنا المؤرخ سوزمين أن المونتانيين كانوا يحتفلون بعيد الفصح يوم ٦ أبريل

Sozomen, *Historia Ecclesiastica* 7:18.

كل سر الفداء، بدايةً من التجسد في حدث البشارة إلى القيامة، وهذا ما تؤكده مثلاً العظة الفصحية **للقديس ميليتوس أسقف ساردس**[٤٨].

ومن بين مخطوطات القرن العاشر التي تحفظ لنا عظات للقديس يوحنا ذهبي الفم توجد وثيقة مجهولة المؤلف تسمى '**الانقلابات والاعتدالات**'[٤٩] De Solstitiis et aequinoctiis، مؤرخة إلى القرن الرابع الميلادي، وربما من شمال أفريقيا. وتؤكد الوثيقة على أن يوم التجسد (أي يوم البشارة وحَبَل العذراء بالمسيح) هو يوم ٢٥ مارس وهو نفس يوم آلام المسيح وموته، وتحدد يوم حبل أليصابات في الاعتدال الخريفي بناءً على إنه نفس الزمن الذي ظهر الملاك لزكريا الكاهن أثناء خدمته في عيد المظال. وبما أن العذراء في بداية حبلها قد زارت أليصابات في الشهر السادس لها، فإن العذراء ولدت المسيح بعد تسعة أشهر في الانقلاب الشتوي. وهذا التفسير أيضًا يتبعه **القديس يوحنا ذهبي الفم** في عظة[٥٠] أصلية له أُلقيت ما بين عامي ٣٨٦م و٣٨٨م. أما **القديس أغسطينوس** في كتابه 'عن الثالوث'[٥١] فيؤكد أيضًا أن يوم حَبَل العذراء بالمسيح هو نفس يوم آلامه وموته يوم ٢٥ مارس، وأنه وُلد في يوم ٢٥ ديسمبر. وهناك أيضًا عظة **للقديس جيروم** ألقاها يوم ٢٥ ديسمبر سنة ٤١٠م يقول فيها إن هناك تقليدًا يذكر أن القديسَيْن بطرس وبولس قد احتفلا بعيد الميلاد يوم ٢٥ ديسمبر[٥٢]. وهناك شهادات أُخرى متأخرة تربط ما بين يوم حبل العذراء (البشارة) ويوم آلام وموت المسيح[٥٣].

---

[48] S.G. Hall, *Melitio of Sardis. on Pascha and fragments*, (Oxford University Press, 1979); A. Stewart-Sykes, *Melito, Peri Pascha and the Quartodeciman Paschal Liturgy at Sardis* SupVC 42 (Leiden: Brill, 1998).

[49] B. Botte, *opt. cit*, (1932), pp. 88-105.

[50] PG 49: 351-362.

[51] *De Trinitate* IV, 5 ,9 (NPNF 1:3, p. 74).

[52] G. Morin, 'Les monuments de la prédication de Saint Jerome', *Revue d'histoire et de littérature religieuses* 1 (1896), pp. 414-416.

[53] Ephrem Syrii Hymnus 21, '*De resurrectione Christi 10'* (E. Bech, *Des heiligen Ephraem des Syrers Paschahymnun*, OCSO 249, pp. 73-73); *Topographiae Christianae* 5 (W. Wolska-Conus, ed., *Cosmas Indicopleustes. Topographie chretienne II*, SC 159, p. 23); M. van Esbroeck, 'La lettre de l'empereur Justinien sur l'Annonciation et la Noël en 561' *Analecta Bolandiana* 86/3-4 (1968), pp. 351-371.

وبذلك تؤكد هذه الدراسات على أن الكنيسة الأولى كانت في وضعها الاجتماعي والثقافي تعتبر الاعتدال الربيعي هو بداية الحسابات الخاصة بمحاولة تحديد تاريخ ميلاد المسيح، وذلك بناءً على الجذور الموسمية للاحتفال بعيد الفصح[٥٤]. كان هذا العيد احتفالاً بكل سر المسيح، أي أعمال المسيح الخلاصية كلها، متضمنًا التجسد (أي حدث البشارة). وبذلك تأسس يوم عيد الميلاد بعد تسعة شهور من عيد الفصح الذي كان يُحتفل به في الغرب يوم ٢٥ مارس وفي الشرق يوم ٦ أبريل، وبذلك أصبح عيد الميلاد في الغرب يوم ٢٥ ديسمبر وفي الشرق ٦ يناير[٥٥].

بين عيد الميلاد والإبيفانيا في مصر

بالرغم من أن بعض الدارسين يشيرون إلى أن أول من ذَكر الاحتفال بعيد الإبيفانيا ἐπιφάνεια أي 'ظهور الرب' هو **القديس كليمندس السكندري**[٥٦]، إلا إنه لا يوجد لدينا دليل على استخدام هذا الاسم، فما ذكره القديس كليمندس، كما ذكرنا سابقًا، هو مناسبة الاحتفال بمعمودية المسيح. فكل ما يذكره هو أن أتباع باسيليديس الغنوسي يحتفلون في يوم ١٥ طوبة (=١٠ يناير) بمعمودية المسيح، ومنهم من يحتفل به في يوم ١٠ طوبة (=٦ يناير)[٥٧].

بعد ذلك لا نجد أية إشارة للاحتفال بعيد الإبيفانيا في مصر إلا في القرن الرابع الميلادي، فلا يوجد ذكر لهذا العيد في قائمة الأعياد التي يذكرها **أوريجينوس** في حواره مع كلسُس في القرن الثالث الميلادي[٥٨]. ومن المعروف أن

---

[54] S. K. Roll, *opt. cit.,* (1995), pp. 64-65.

[55] Thomas J. Talley, 'Afterthoughts on *The Origins of The Liturgical year*' in Sean Gallagher (ed.), *Western Plainchant in the First Millennium: Studies in the Medieval Liturgy and its Music*, (Ashgate Publishing Company, 2003), pp. 1-10.

[56] F. Nikolasch, 'Epiphanie. III. Liturgisch', in *Lexikon für Theologie und Kirche* (Freiburg: Herder, 3rd edn, 1995), III, S. 720-22.

[٥٧] يمثّل يوم ١٥ طوبة أهمية خاصة عند الغنوسيين انظر:

Carl Schmidt, *Pistis Sophia*, Coptica 2, (Hauniae: Gyldendalske Boghandel-Nordisk Forlag, 1925), S. 6,5 f.

[58] Henry Chadwick, *Origen: Contra Celsum*, (Cambridge University Press 1953), p. 468.

عيد الإبيفانيا بدأ في الشرق، بعكس عيد الميلاد[٥٩]، بينما أول إشارة جاءت إلينا بخصوصه كانت في القرن الرابع الميلادي من الغرب عام ٣٦١م[٦٠]، أما أول إشارة للاحتفال بعيد الإبيفانيا في مصر فقد وردت عند **القديس إبيفانيوس أسقف سلاميس** في سبعينات القرن الرابع الميلادي[٦١] حيث يذكر أن مناسبة الاحتفال هي ميلاد المسيح مع معجزة عُرس قانا الجليل، ويؤكد على أن يوم معمودية المسيح - بحسب اعتقاده - هو ٨ نوفمبر. ولا يذكر القديس إبيفانيوس أن هناك احتفالاً بمعمودية المسيح في مصر. يظهر من هذا سؤال، وهو: ألم يكن الاحتفال بعيد معمودية المسيح 'الغطاس' جزءًا من الاحتفال بعيد الإبيفانيا في مصر إلى ذلك الوقت (حوالي ٣٧٥م)، خاصةً أن أول إشارة للاحتفال بالإبيفانيا بمناسبة معمودية المسيح في الشرق المسيحي تشير للاحتفال به في القسطنطينية في ثمانينيات القرن الرابع[٦٢]؟ من هنا نجد أن احتفال الجماعة الغنوسية بمعمودية المسيح قد أصبح في أواخر القرن الرابع في كنيسة مصر احتفالاً بعيد ميلاد المسيح، في حين نجد إشارة عند الراهب الغربي **يوحنا كاسيان** الذي زار مصر في ثمانينات أو أوائل تسعينات القرن الرابع الميلادي يذكر فيها أن عيد الإبيفانيا في يوم ٦ يناير يُحتفل فيه بالمناسبتين: ميلاد المسيح وعماده[٦٣]، ويذكر أن احتفال المصريين بعيد الإبيفانيا له طابع خاص، ويبدو أنه لا يعرف أصل عيد الإبيفانيا في مصر[٦٤]، فهو يقارن بين الاحتفال المصري بالمناسبتين في يوم واحد وبين الاحتفال المنفصل في الغرب. وتثير هذه المقارنة تساؤُل عن مدى تأثُره بالتقليد المستقر في الغرب في الاحتفال بعيد الإبيفانيا بمناسبة معمودية المسيح[٦٥]، خاصة أنه قضى فترة طويلة من

---

[59] Gabriele Winkler, 'The Appearance of the Light at the Baptism of Jesus and the Origins of the Feast of the Epiphany,' in Maxwell Johnson, ed., *Between Memory and Hope: Readings on the Liturgical Year* (Collegeville, MN: Liturgical Press, 2000), pp. 291–347.

[60] Ammianus Marcellinus, *Rer. gest. 21.2.5*, W. Seyfarth, Schriften und Quellen der Alten Welt 21 (Berlin: Akademieverlag, 3rd edn, 1986), S. 2.132.10-13.

[61] Epiphan. haer. 51,16,1,8; 22,3; 51,9,13.

[62] Hans Förster, *Die Anfänge von Weihnachten und Epiphanias Eine Anfrage an die Entstehungshypothesen*, Tübingen 2007, S. 181-198.

[63] Cassian, *Coll.* 10.2 (CSEL, 13.286.19–287.3, Petschenig)

[64] Hans Förster, *opt. cit.*(2007), S. 78-82.

[65] Thomas J. Talley, *opt. cit.*, (1991), p. 146.

حياته في روما[٦٦]، مع العلم أنه لم يكن في مصر حتى ذلك الوقت عيد مستقل للميلاد. وهناك احتمال آخر في وجود تقليد محلى في مصر قد عرفه أثناء رحلته في صحراء مصر. أما بعد ذلك، غضون القرن الخامس، فلا نجد في **القوانين المنسوبة للبابا أثناسيوس** أيَّ ذِكْر لعيد الميلاد، والاحتفال بالإبيفانيا هو فقط بمناسبة معمودية المسيح في شهر طوبة، وهذا ما استقر عليه الاحتفال بالإبيفانيا في مصر[٦٧].

ما يثير التساؤلات هو التغير في مناسبة الاحتفال، بالإضافة إلى الفترة الزمنية الطويلة بين أول ذكر للاحتفال بمعمودية المسيح وأول ذكر للاحتفال بالإبيفانيا. وربما اعتقاد الغنوسيين أن معمودية المسيح هو يوم ميلاده قد يساعد على الإجابة[٦٨]. غير أنه من الصعب تقبُّل تبنى الكنيسة الأرثوذكسية في مصر، وخاصة في القرن الرابع المليء بالتحديات الإيمانية، لعيد من جماعة معروف أنهم من الهراطقة. كذلك لم تكن جماعة باسيليدس تحتل أية أهمية في القرن الرابع، على عكس مثلاً الميليتيين والمانيين، وهذا ما تؤكده البرديات القديمة التي وصلت إلينا[٦٩]. ولا نجد أية دلائل على وجود أية مناقشات أو جدال حدث أو أي إتهام، مثلاً، من قبل الميليتيين المعاديين للكنيسة بخصوص هذا الانتقال. كل هذا يبين صعوبة ربط عيد الإبيفانيا في مصر بالجماعة الغنوسية. والمرجح أن يكون الاحتفال بعيد الإبيفانيا بمناسبة معمودية المسيح قد أُدخل إلى مصر بتأثير من تقليد خارجي أخذ ينتشر تدريجيًّا

---

[66] Angelo Di Berardino, J. Quasten, *Patrology*, vol. 4, (USA, Christan Classics, 1988), pp. 512-513.

[٦٧] أثناسيوس المقاري (الراهب القس)، *قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية*، مصادر طقوس الكنيسة (١/١٠)، الدرة الطقسية، ط٢، (٢٠٠٦م). ويُرجع تاريخها إلى أواخر القرن الخامس، ويرى Coquin أنه يعود إلى قبل منتصف القرن الخامس لأنه لا يذكر عيد الميلاد. انظر:

René-G. Coquin, 'Canons of Pseudo-Athanasius', in: ed. Aziz S. Atiya, *Coptic Encyclopedia*, vol. 2, (Macmillan, 1991), pp. 458-459; W. Riedel & W.E. Crum, *The Canons of Athanasius of Alexandria.* The Arabic and Coptic Versions Edited and Translated with Introductions, Notes and Appendices (London & Oxford: Williams & Norgate, 1904).

[68] H. Auf der Maur, *Feiern im Rhythmus der Zeit I. Herrenfeste in Woche und Jahr*, GDK 5, Regensburg 1983, s. 156

[69] M. Choat, *Belief and Cult in Fourth-Century Papyri* (Studia Antiqua Australiensia; Turnhout, NSW, Australia: Brepols and Ancient History Documentary Research Centre, Macquarie University, 2006).

في ربوع مصر، وقد يكون القديس أثناسيوس الرسولي هو الذي أدخله، وذلك لكثرة نفيه خارج البلاد[٧٠].

دخول عيد الميلاد مصر

أول وثيقة تذكر لنا وجود عيدٍ ميلادٍ في مصر هي عظة **لبولس الحمصي**[٧١] في يوم ٢٩ كيهك (٢٥ ديسمبر) سنة ٤٣٢م في كنيسة الإسكندرية. وبالتأكيد كان لمجمع أفسس والصراع النسطوري دورٌ كبيرٌ في دخول عيد الميلاد مصر في عهد القديس كيرلس الإسكندرى[٧٢]. بعد ذلك نجد أنه قد استقر عيد الميلاد في مصر في يوم ٢٩ كيهك (= ٢٥ ديسمبر)[٧٣]، فمثلاً وصلت لنا عظة **للبابا داميانوس** (٥٧١ ـ ٦٠٥م) في أواخر القرن السادس ألقاها في يوم ٢٩ كيهك عن الميلاد[٧٤].

أقدم ليتورجيات عيد الميلاد في مصر

في إشارة وصلت لنا عن وصف لليتورجية عيد الميلاد في القرن السابع، يذكر كتاب 'تاريخ البطاركة'، في الجزء الذي كُتب بقلم الراهب جرجه المقاري[٧٥] في أوائل القرن الثامن الميلادي، الاحتفال بعيد الميلاد[٧٦] الذي كان يقيمه **البابا بنيامين الأول** (٦٢٣ ـ ٦٦٢م):

''قال الاب البطريرك أنبا بنيامين لما كنت في مدينتي الاسكندرية وجدت زمان سلامة ومخلص من الاضطهاد ومجابة المخالفين. حضر يوم ميلاد السيد يسوع

---

[70] Hans Förster, 'The Celebration of the Baptism of Christ by the Basilideans and the Origin of Epiphany. Is the seemingly obvious correct?' *Journal of Greco-Roman Christianity and Judaism* 5, (2008), pp. 110-124.

[71] Paul. Em. *hom. 1*(ACO I, I, 4, 9); (PG 77:1433-44).

[72] Talley (1991), *opt. cit.*, p. 141; S. K. Roll (1995), *opt. cit.* , p. 180.

[٧٣] انظر كيف صار فيما بعد يوم ٢٩ كيهك في التقويم القبطي يقابل ٧ يناير في التقويم اليولياني بعد التعديل الغريغوري، في: أثناسيوس المقاري (الراهب القس)، مرجع سابق ، (٢٠١١م)، صـ ١٠٦– ١١٠.

[74] W. E. Crum, *Theological Texts from Coptic Papyri*, (Oxford: Clarendon Press, 1913), pp. 21-33.

[٧٥] د. صموئيل القس قزمان معوض، 'كتاب تاريخ البطاركة باللغة العربية' في: *مجلة مدرسة الإسكندرية*، السنة الثانية (٢٠١٠م)، العدد الثالث، صـ ٢١٧–٢٤١.

[٧٦] أثناسيوس المقاري (الراهب القس)، مرجع سابق ، (٢٠١١م)، صـ ١٠٥، ١٤١–١٤٢.

المسيح وهو الثامن والعشرين من كيهك ونحن مجتمعين فى بيعة السيدة الطاهرة ام النور مرتمريم التى تدعا اسطوانجاليين وقد عملنا **صلوات عظيمة** وجماعة الكهنة ومقدمين المدينة وجميع الشعب الصغار والكبار يعيدوا للسيدة العذراء التى ولدت الإله الكلمة في العالم رب الارباب. وملك الملوك. الدي يحق له كل مجد مع الاب وروح القدس الإله الواحد ونعيد أيضا للسيد المسيح الابن الوحيد الذى تجسد وصار إنسانًا لاجل خلاصنا. وولده الطاهرة العذراء في بيت لحم اليهودية غير مفترق المسيح الاهنا"[٧٧].

وما وصلنا من أقدم الوثائق اليتورجية التي تختص بعيد الميلاد في مصر هو عبارة عن تسابيح وقطع ميلادية، ترجع أقدم وثيقة منها إلى نهايات القرن الخامس الميلادي أو إلى القرن السادس الميلادي. وقد حاولت أن أجمع ـ على قدر طاقتي ـ أقدم النصوص الليتورجية المنشورة حتى الآن والخاصة بالاحتفال بعيد الميلاد في مصر، وكلها نصوص تعبر على تجذر سر التجسد في الوعي المسيحي المصري ومدى عمق معانيها وفي نفس الوقت بساطة كلماتها.

مخطوط *P. Vindob. G. 2326*

إن هذا المخطوط له أهمية خاصة بالنسبة لتاريخ الليتورجيات في مصر والعالم، وكان G. Bickell هو أول من نشره، وذلك في القرن التاسع عشر، واعتبره أقدم مخطوط ليتورجي، حيث أرجع زمنه إلى بداية القرن الرابع[٧٨]. وهذا المخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية في فيينا، وهو عبارة عن بردية بنيّة اللون، ذات حجم متوسط، وفي حالة متردية، ومكتوب عليها بالحبر الأسود من الوجهين، والطرف الأعلى لها متهالك. وقد نشرها بعد ذلك عدد من الدارسين في طبعات أكثر دقة، وتبين لهم[٧٩] من دراسة الخط وطريقة

---

[77] C. Seybold, *Severus ibn al-Mukaffa', Alexandrinische Patriarchengeschichte von S. Marcus bis Michael I 61-767 nach der altesten 1266 geschriebenen Hamburger Handschrift*, (Hamburg, 1912), S. 105

[78] G. Bickell, 'Das älteste liturgische Schriftstück', in: *Mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer* 2, (1887), pp. 83-86.; C. Wessely (éd.), *Les plus anciens monuments du christianisme écrits sur papyrus II*. (Patrologia Orientalis 88, fasc. 3), 1985, pp. 438-9.

[79] Hans Förster, 'Das angeblich älteste liturgische Schriftstück. Neuedition von P. Vindob. G. 2326', in: *Zeitschrift für Antikes Christentum* 1, (1997), pp. 169-177.; Celine Grassien,=

الكتابة أن كل وجه كتبه كاتب مختلف، وأن طريقة الكتابة تحمل كل سمات طريقة كتابة منطقة **إهناسيا** Ἡρακλεόπολις، وهي مدينة عند مدخل منخفض الفيوم (بمحافظة بني سويف حاليًا)[٨٠]. وأن تاريخ هذه البردية يرجع إلى **أواخر القرن الخامس أو بدايات القرن السادس الميلادي**.

النص:

Recto:

1 † Ὁ γεννηθεὶς ἐ<ν> Βηθλεὲμ καὶ ἀνατ̣ραφεὶς ἐν Ν̣α̣ζαρέτ <καὶ> κατοικήσας ἐν τῇ Γαλιλαίᾳ,

2 εἴδομεν σημεῖον ἐξ οὐρανοῦ· τοῦ ἀστέρος φανέντος, ποιμένες ἀγραυλοῦντες

3 ἐθαύμασαν· οὗ<ν> γονυπεσόντες ἔλεγον· δόξα τ̣ῷ̣ Πατρί, ἀλληλούϊα·

4 δόξα τῷ Υ̣ἱῷ̣ κ̣αὶ τῷ ἁγίῳ Πνε<ύ>ματι, ἀλληλούϊα, ἀλληλούϊα, ἀλληλούϊα.

وجه:

أيها المولود في بيتِ لحم والذي تربى في الناصرةِ وسَكَنَ في الجليلِ، لقد رأينا علامة من السماءِ؛ نجم لامع. فتعجَّب الرعاة المتبدين وركعوا قائلين: المجد للآب، هلليلويا. المجد للابن والروح القدس، هلليلويا، هلليلويا، هلليلويا.

Verso:

1 Τυβὶ ε̄ ·

2 †† Ἐκλεκτ̣ὸ̣ς ὁ ἅγιος Ἰωάνν̣ης ὁ βαπτιστής, ὁ κηρύξας μετάνοια<ν>

3 ἐν ὅλῳ [τῷ] κόσμῳ εἰς ἄφεσιν̣ τῶν ἁμαρτιῶν ἡμῶ̣ν.

ظهر:

٥ طوبة:

المُختار: القديس يوحنا المعمدان، الكارز بالتوبة إلى العالم كله لمغفرة خطايانا .

='Problèmes d'édition dans le corpus papyrologique des hymnes chrétiennes' dans: *Archiv für Papyrusforschung und verwandte Gebiete* 51/2, (2005), pp. 273-4.

[80] S. Timm, *Das christlich-koptische Ägypten in arabischer Zeit*, Bd. 3, (Wiesbaden, 1985), S. 1161- 1172.

تعليق:

من الواضح أن القطعة الليتورجية الموجودة في 'وجه' المخطوط هي مخصصة لعيد الميلاد، فلا توجد بها إشارة أو ذكر لأية مناسبات أُخرى. المشكلة تكمن في 'ظهر' المخطوط الذي يحمل تذكارًا للقديس يوحنا المعمدان في يوم ٥ طوبة (= ٣١ ديسمبر). ومن الصعب تفسير هذا الازدواج في المخطوط، لأنه لا توجد أية إشارة في المصادر القديمة لتذكار القديس يوحنا المعمدان في يوم ٣١ ديسمبر. يرى Bickell أن يوم ٥ طوبة يقصد به يوم ٥ يناير كمقابلة مباشرة من التقويم القبطي إلى التقويم اليولياني، وبذلك تكون إشارة للاحتفال بليلة عيد الإبيفانيا في مصر كاحتفال بيوم ميلاد المسيح وعماده[٨١].

أما Förster فيرى أنه بناءً على أن عيد الإبيفانيا، بعد دخول عيد الميلاد إلى الإسكندرية حوالي سنة ٤٣٠م، هو احتفال بمعمودية المسيح فقط، وأن المخطوط يرجع تاريخه إلى الفترة ما بين القرنين الخامس والسادس، وأنه لا يوجد ذِكر لمعمودية المسيح في نصوص المخطوط، أن النص هو للاحتفال بعيد الميلاد فقط، وأن هذا النص ربما قد كُتب من قِبَل المرنم لكي يستطيع حفظه جيدًا، وأن نص 'الظهر' هو ربما إشارة لوجود تذكار للقديس يوحنا المعمدان كعيدٍ محليٍّ في منطقة إهناسيا. وفي النهاية لا تعطينا نصوص المخطوط أدلة واضحة على ارتباط المناسبتين المذكورتين على وجهي المخطوط[٨٢].

مخطوط *P. Ryl.G 1. 7*

من بين البرديات اليونانية المصرية المحفوظة في مكتبة جون ريلاندس[٨٣] بردية بحالة جيدة يرجع تاريخها إلى **القرن السادس الميلادي**. وتحتوي البردية على تسبحة مُرتبة ترتيباً أبجديًّا على حروف اللغة اليونانية، وتقال غالبًا في

---

[81] G. Bickell, *opt. cit.,* (1887); Schermann Th. *Ägyptische Abendmahlsliturgien des ersten Jahrtausends in ihrer Überlieferung*. (Paderborn, 1912), S. 215-216.
[82] Hans Förster, *opt cit.* (1997), S. 172-177.
[83] Arthur S. Hunt, M.A., Litt.D., *Catalogue of the Greek papyri in the John Rylands library*, Vol. I: Literary Texts (No. 1-61), (Manchester, 1911), pp. 13-14, pl. 2.

احتفالات عيد الميلاد. وكما هو واضح في نص التسبحة، هي تقال بطريقة الأنديفونا، سواء بين خورسين أو بين مرنم منفرد والخورس المقابل، وذلك لوجود مرد ثابت يقال بين الأبيات[٨٤].

النص:

1	[**α**	...
2	[**β**	...
3	[**γ**...] . [	...
4	(**δ**ο[ξ]αζογ̣[τες) αυτον ειπωμεν κε̄ δο]ξα σο[ι]	... *فلنمجده قائلين: المجد لك يا رب.*
5	**ε**κ πνεῦ̣[ματος αγιου εγεννηθη] χ̄ς̄	وُلد المسيح من الروح القدس
6	**ζ**ωην η̣μ̣ι̣[ν (χαρισομενος)]	ليمنحنا الحياة[٨٥]؛ وجعلت[نا]
7	**η**ξιωσας μεθ ημων συναναστραφῆναι	مستحقين كي تترأف علينا.
8	**θ**αυμαζοντες αυτον ειπομεν κε̄ δοξα σοι	*فلنتعجب منه قائلين: المجد لك يا رب.*
9	**ι**δου η παρθενος ετεκεν τον Εμμανουηλ	هوذا العذراء وَلَدَتْ عمانوئيل؛
10	**κ**ατελθων εξ (ουρανου)	الذي نزل من السماء وخلَّص
11	**λ**αον πεπλανημενον εκ γης Αιγυπτου (δ̣ιασωσ[ας)	الشعب التائه من أرض مصر.
12	**μ**εγαλυνοντες αυτον ειπομεν κε̄ δοξα σοι	*فلنعظمه قائلين: المجد لك يا رب.*
13	(**ν**ικην) κατ εχθρον εβουλετο (παρασχειν) ημιν κ̄[ς̄	لقد شاء الرب أن يعطينا النصرة
14	(**ξ**ενοδοχειται) παρα την (Μαριαν)	على العدو. فاستضافته مريم
15	**ο**ρατος εν σαρκει αορατος	كغريبًا، غير المنظور (صار)
16	**π**ροσπειπτοντες αυτον	منظورًا في الجسد.

[٨٤] من الملفت للنظر أن هناك بعض التشابهات التي ذكرها الناشر بين نص البردية ونصوص ليتورجية الميلاد في التقليد البيزنطي. هذه التشابهات تطرح سؤالاً بخصوص وجود تقليد ليتورجي منفصل للخلقيدونيين في مصر في غضون القرن السادس الميلادي، أم أن نص التسبحة هو المصدر الأقدم التي أخذت منها الليتورجية البيزنطية فيما بعد؟

[٨٥] انظر رو ٦: ٢٣.

ειπομεν κε δοξ[α] σ[ο]ι
17 (ρημα της αληθειας) ανετειλ[εν] ημιν κε
18 (σαρκωθεις) εκ παρθενου (της απειρογαμου)
19 (υπερυψουντες) αυτον ειπομ[εν] κε δοξα σοι
20 φως εκ φωτος ανετειλεν ημ[ι]ν κε
21 Χς ο βασιλευς
22 ψυχας ημετερας εκ γης Αιγυπτου
23 διασωσας
24 ως πασα πνοη ειπομεν κε δοξα σοι †
25 ———— ,,, ———— ,,, ————
26 . [.....] . [

فلنخر عند أقدامه قائلين: المجد لك يا رب.

الربُّ؛ كلمة الحق، أشرق علينا وتجسَّد من عذراء غير متزوجة.

فلنرفعه قائلين: المجد لك يا رب.

أشرق الرب علينا، نور من نور[٨٦]، وخلَّص المسيح الملك نفوسنا من أرض مصر.

كل نسمة فلتقل: المجد لك يا رب.

...

مخطوط *P. Vindob. G. 19.934*

إن أطول النصوص الليتورجية القديمة التى وصلت لنا، فيما يختص باحتفال عيد الميلاد في مصر، هو النص الموجود في بردية محفوظة في المكتبة الوطنية بفيينا، والتي نُشرت عام ١٩٩٣م ضمن نصوص يونانية أُخرى[٨٧]. يتكون المخطوط من سبع شذرات، أمكن تجميع أربع ورقات منها والثلاث شذرات الباقية لا نعرف بالتحديد كم عدد الأوراق التي تكونها. يرجع تاريخ هذه البردية إلى **القرن السادس الميلادي**، ومكتوب عليها بالحبر البنيّ، وهي في حالة جيدة، ولا نعرف مصدرها الأصلي في مصر. ويحتوي المخطوط على مجموعة من التسابيح والقطع الليتورجية عن المسيح والسيدة مريم العذراء، وشهداء وقديسين، وأعياد الميلاد والفصح والبنتيقسطي والصعود، وبالتالي يُفترض أنها بردية محفوظة لتجميع النصوص الخاصة بالأعياد الكنسية

[٨٦] انظر: قانون الإيمان النيقاوي.

[87] K. Treu/J. Diethart, *Griechische literarische Papyri christlichen Inhaltes II*., MPSW.NS 17, Wien 1993. No. 21, 22.

للاستخدام الليتورجي. وطبقًا للعلماء الذين نشروا البردية فإن المخطوط قُسِّم إلى ثلاثة عشر نصًّا منفردًا، مصنفة بحسب الموضوع. وقد قام Förster بدراسة دقيقة للنص الخاص بعيد الميلاد، وأعاد نشره في طبعة نقدية مع ترجمة باللغة الألمانية[٨٨]، وعن هذه الطبعة قمنا بترجمة هذا النص.

النص:

...والدة الإله وَلَدَت...	1	.....θε]ω[τ]οκ[ος] ἔτ̣[ε]κεν· οὐκ
لم تَلد آخر غيره، وبعد	2	ἄλλον π̣α- ρ̣ὰ τ[ο]ῦτον γεννήσαϛ[α τῆς]
ولادتها لم تُكسر[٨٩] مغاليق	3	παρθενίας τὰ κ̣λεῖ- θ̣ρα μ̣ετὰ τὸν τόκον [οὐ διήρρεξ]εν·
بتوليتها. وقد سبق إشعياء	4	ταύτην Ἡσα- [ί]ας π̣[ρ]οε̣κ̣ύ̣ρυξεν π̣[αρθένον.
وبشر بهذه البتولية[٩٠]،	5	ταύ̣]τ̣ην Ἰεζεκι̣ὴλ π̣ύ- λ̣ην [κατ' ἀ]ν̣α̣[τολὰς βλέπουσαν·
وأيضًا حزقيال [رأها] بابًا	6	τα]ύ̣τ̣ην κ̣α̣ὶ ἡμεῖς [θε]οτ[όκον] κ̣ηρ[ύττομεν καὶ
ناظرًا ناحية المشارق[٩١].	7	ὁμολογοῦμεν τ]ὸ̣ν ἐξ αὐτῆς σαρκω- [θ]έ̣ντ[α υ(ἱὸ)ν τ̣ὸ̣ν Χ(ριστὸ)ν
ونحن ندعوها والدة الإله،	8	οὕτως π̣[ρὸς αὐτὸν] ψάλλο̣μ̣εν — ———„„———„„———„„———
ونعترف بالمسيح الابن، الذي	9	[Ἐ]ν ὑ̣ψίστοις δόξα κ̣[αὶ ἐπὶ γῆς
تجسَّد منها، هكذا نحن	10	εἰρήνη]· π̣ο̣ι̣μ̣έ̣νες μετ' ἀγ- γέλω̣`ν΄ ἀ̣[ν]υμ[νοῦντες
نرتل له: المجد في الأعالي	11	*προσπίπτουσιν* καὶ]... π̣ρ̣ο̣σ̣κ̣υ- νοῦσιν· .[.....]..
وعلى الأرض السلام[٩٢].	12	τεχθέντα καὶ ο̣ἱ ..[.....].. ὦ τ̣ο̣ῦ
الرعاة مع الملائكة يسبحون		θαύμα-
خاضعين و... ساجدين ...		
المولود ... والـ... يا لها من		
أعجوبة! ... جعلكِ مستحقة أن		

[88] Hans Förster, 'Die Anfänge des Geburtsfestes Jesu in Ägypten. Neuedition von P. Vindob. G. 19.934', in: *Zeitschrift für Antikes Christentum* 10, (2007), S. 386-409.

[٨٩] بروكلوس أسقف القسطنطينية، العظة الأولى: ٩، انظر:
ACO Tomus I, Volumen 1, Pars 1, 107,16-20, (ed.) E.Schwartz.

[٩٠] انظر إش٧: ١٤.

[٩١] انظر حز٤٤: ١-٣.

[٩٢] انظر لو٢: ١٤.

13 [τος .....]. ϙα̣ι τῇ εὐ-
14 λογημένῃ γενέσθαι ἠξίωσεν· ὁ περιβάλλων τὸν
15 οὐ(ρα)νὸν ἐν νεφέλαις περιβαλέτω [τ]ὰ σπάργαν̣α̣ τῆς ἀ[ν-]
16 θρωπίνης πτωχείας· δε̣[ῦτ]ε ἄσω̣μεν οὕτω
17 πρὸς αὐτὸν ψάλλοντες· ὁ μ̣[ὴ χωρ]ισθεὶς τῶν ἐπου-
18 (ρα)νίων· κ̣α̣ὶ [ὁ] ἀναστραφεὶς δὲ τ[οῖς ἐπι]γίοις σ(ωτ)ὴρ ἐ̣πίφανο̣ν
19 ἐφ' ἡμᾶς τὸ πρόσωπόν [σου *καὶ σωθησ]ώμεθα* ——— ———
20 Ζωῆς αἰωνίου κῆ̣ρ[υξ *Παῦλος ὁ μέγας καὶ ἅγ*]ι̣ο̣ς ἀ̣π̣ό̣σ̣τολος
21 ἀληθεύων ἔλεγ[εν ὅτι] Χ(ριστὸ)ς ἦλ̣θεν εἰς τὸ̣ν κόσμον ἁμ̣α̣ρ-
22 τωλοὺς σῶσαι· δ̣ε̣ῦ̣τ̣ε̣ π̣ροσκυ̣νή̣σω[μ]ε̣ν καὶ προσπέσο-
23 μεν· μ̣ὴ ὡς Ἡ̣[ρώ]δ̣ης ἐ̣ν̣ δ̣ό̣λ̣ῳ κ̣α̣ὶ πρ̣[οσποιήσει] ἀλλ' ὡς οἱ
24 μάγοι ἐν πόθῳ καὶ συνειδήσει· προσφέροντες αὐτῷ· ἀν-
25 τὶ χρυσοῦ καὶ λιβάνου καὶ σμύρνης πίστιν καὶ
26 ἐλπίδα καὶ ἀγάπην· ὅπω[ς

تصيري مباركة. الذي يكسي السماء بالسحاب[٩٣] توشَّح بأقمطة الفقر البشري[٩٤]. أسرعوا، لنسبِّحه ولنرتل له[٩٥] أيضًا.

أنت الذي لم تنفصل عن السمائيات، ولكنك سلكت، أيها المخلِّص، على الأرض. أضئ بوجهك علينا فنخلُص[٩٦].

بعد أن كرز بولس العظيم والرسول القديس بالحياة الأبدية[٩٧]، تكلَّم بالحق قائلاً: إن المسيح جاء إلى العالم ليُخلص الخطاة[٩٨]. فلتُسرعوا لنسجد ونركع [له]، ليس مثل هيرودس بمكر وتظاهر[٩٩]، بل مثل المجوس بلهفة وإدراك. ولنقدم له بدل الذهب واللبان

---

[٩٣] انظر مز١٤٦: ٨ (سبعينية)؛ انظر أيضًا أقوال أتيكوس أسقف القسطنطينية والقديس كيرلس السكندري في وثائق مجمع أفسس: *ACO* I 1,5, 66, 29f; I 1,7, 45, 14f.

[٩٤] انظر لو٢: ٧.

[٩٥] انظر أف٥: ١٠.

[٩٦] انظر مز٧٩: ٤، ٨، ٢٠ (سبعينية).

[٩٧] انظر ١تي٢: ٧.

[٩٨] انظر ١تي١: ١٥.

[٩٩] انظر متى٢: ٨.

والمر[100]، الإيمان والرجاء والمحبة[101]. لكي ننال الابتهاج والفرح والتهليل، فلنمجده مرتلين له أيضًا.

انظروا، ها قد جاء الذي تحدَّث من خلال عامود السحاب إلى الإسرائيليين[102]، متجسدًا من العروس الطاهرة، الكامل في طبيعته، المُعافى في قامته[103]، غير المتغير، الذي بلا خطية، الذي لا يُوصف، المساوي للآب في الجوهر وللروح القدس. يا لسر الله العظيم، يا لقوة البتولية الطاهرة، كيف أنَّ الأم بعد الولادة بقيت عذراء، ومن أجل هذا فلنصرخ:

أنتَ الذي لم تنفصل عن السمائيات، لولكنكَ سلكتَ، أيها المخلص، على الأرض. أضئ بوجهك علينا

ε]ὐφρ[οσ]ύνῃ(ν) καὶ χα[ρ]ὰν καὶ ἀ-
27 γαλλίασιν λαβόντες· δοξολογή[σω]μεν οὕτω πρὸς αὐ-
28 τὸν ψάλλοντες· ——— ———
29 Ἰδοὺ παραγέγονεν ὁ δι[ὰ] στύλου νεφέλης το<ῖς> Ἰσραηλίτης
30 λαλήσας σαρκωθεὶς ἐ[ξ] ἀπειρ[ογά]μου νύμ[φη]ς ὁ φύσι παν-
31 τέλειος ἡλικίαν *ῥῳ[στ]εῖ* ὁ ἀναλλοίωτος καὶ ἀναμάρ-
32 τητος καὶ ἀπερίγραπτος ὁ ὁμοούσιος τ[ῷ π(ατ)ρὶ] καὶ τῷ ἁ-
33 γίῳ πν(εύματ)ι· ὢ μεγάλου θ(εο)ῦ τὸ μυστήριον· ὢ παρθεν[ί-
34 ας ἀχράντου δύναμις ὅτι ἡ μ(ήτ)ηρ μετὰ τὸν τόκον πα[ρ-]
35 θένος ἔμεινεν· καὶ διὰ το[ῦτο] β[ο]ῶμεν [· ὁ μ]ὴ χ[ω]ρισθε[ὶς]
36 τῶν ἐπου(ρα)νίων·
37 [ἐφ' ἡμᾶς τὸ πρόσωπόν σου καὶ σωθησώμεθα]———

[100] انظر متى٢: ١١.
[101] انظر ١كو١٣: ١٣.
[102] انظر خر١٩: ١٩.
[103] أو: النامي في قامته.

فنخلُص[١٠٤].

مخطوط *P. Berl. 13269*

يحفظ لنا متحف برلين مجموعة من النصوص الليتورجية اليونانية القصيرة الخاصة بالاحتفال بعيد الميلاد في مصر، والمكتوبة على برديات، منها ما هو متهالك إلى حدٍ كبير[١٠٥] ومنها ما هو بحالة يمكن قراءتها. وهذه البرديات يرجع أقدمها إلى حوالي القرن السادس الميلادي[١٠٦]. أما بالنسبة للبردية رقم ١٣٢٦٩ التي نحن بصددها، فهي ترجع إلى **القرن السابع الميلادي،** ونجد على ظهرها كتابة باللغة العربية. نُشرت هذه البردية لأول مرة عام ١٩١٠م[١٠٧]، ثم أعاد نشرها بعد ذلك Wessely في مجموعة 'الآباء الشرقيين' مع ترجمة باللغة الفرنسية[١٠٨].

النص:

1	εις α΄ δ΄	...
2	ἐν Βηθλεὲμ (ἦσαν) ποιμέν(ε)ς ἀγ-	كان في بيت لحم رعاة
3	ραυλοῦντες, (καὶ ὁ) ἄγγελος τοῦ Θ(εο)ῦ	متبدِّين، و(إذ) ملاك الله يبشرهم بميلاد عمانوئيل،

---

[١٠٤] انظر مز٧٩: ٤، ٨، ٢٠ (سبعينية).

[١٠٥] مثل البردية رقم ٨٦٨٧، ويرجع تاريخ هذا المخطوط إلى ما **بين القرن السادس والسابع الميلادي**، وما وصل إلينا منها ما هو إلا بعض كلمات متناثرة مثل كلمة: العذراء (سطر٨ و١١)؛ عمانوئيل (سطر ١٤)؛ دعوة للجميع للاحتفال بالعيد (سطر ١٠)؛ فرح لكل العالم (سطر ٢). انظر:

Kurt Treu, 'Neue Berliner liturgische Papyri' in *Archiv für Papyrusforschung und verwandte Gebiete* 21, (1971), S. 60-1.

[١٠٦] وهي البردية رقم ١١٨٤٢ ونصها كالتالي :

φῶς ἄνωθεν ἔλαμψεν..... | η ..... δε .. α . α . ἡμάς τόν λόγον | τῆς πίστεως καὶ ἔκραζεν ἡμίν | τόν ὕμνον τόν ἄγγελον δόξαν | ἐν ὑψίστοις θεῷ τῷ σωτῆρι ἥμων | ἀλληλούϊα.

'نور أشرق من الأعالي...[نا] كلمة الإيمان ويلقي علينا تسبحة الملائكة: المجد لله، مخلصنا، في الأعالي، هلليلويا'.

انظر المرجع السابق، صـ ٦٦.

وأيضًا، انظر برديات القرن السابع الخاصة بالميلاد (رقم: ١٤١٩٢، ١٤١٩٣، ١٤١٩٤) في:

Kurt Treu, 'Christliche Papyri IV.' in: *Archiv für Papyrusforschung und verwandte Gebiete* 22-32, (1974), S. 384-5.

[107] C. Schmidt, W. Schubart, *Altchristliche Texte. Berliner Klassikertexte*, Heft 6, (Berlin: Weidmannsche Buchhandlung, 1910), S. 118.

[108] C. Wessely (éd.), *Les plus anciens monuments du christianisme écrits sur papyrus II.* (Patrologia Orientalis 88, fasc. 3), 1985, pp. 437-8.

ومجد الرب أضاء حولهم، وقال غير الجسداني: لا تخافوا. فبشرهم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، أنه اليوم وفي مدينة داود وُلِدَ المسيح الملك، والله المُخلِّص. أما نحن، فلننشد مع الملائكة: المجد لله في الأعالي، [وسلام على الأرض بين الناس ذي الإرادة الصالحة].

4 αὐτ(οῖς) εὐηγγελίστο τὸν τόκον
5 τοῦ Ἐμμανουὴλ΄(.) κ(αὶ) τοὺς ποιμέν(α)ς
6 περιέλαμψ(εν) ἡ δόξα τοῦ κ(υρίο)υ,
7 κ(αὶ) εἶπεν(·) ὁ ἀσώματος μὴ φοβῖσθε(.)
8 Ἐκήρυξεν δὲ αὐτοῖς μεγάλην χαράν(,)
9 ἥτις ἔσται παντὶ τῷ λαῷ(,) ὅτι
10 ἐτέχθη Χ(ριστὸ)ν ὁ βασιλεὺς
11 κ(αὶ) Θ(εὸ)ν σ(ωτὴ)ρ σήμερον ἐν πόλει
12 Δ(αβί)δ(.) Ἡμεῖς δὲ σὺν τοῖς ἀγγέλοις (ᾄσωμεν·)
13 δόξα ἐν ὑψίστοις θ(εῷ) κ(αὶ) ἐπὶ γῆς
14 [εἰρήνη ἐν ἀνθρώποις εὐδοκίας]

مخطوط *P. Copt. Mus. inv. 3469*

من بين النصوص الليتورجية لعيد الميلاد التي تحمل كتابة باللغة العربية[١٠٩] على ظهر النص الليتورجي هي البردية المحفوظة في المتحف القبطي بالقاهرة، والتي تحمل رقم ٣٤٦٩. وهذه البردية كان قد تم استخدامها في المراسلات الحكومية ثم أُعيد أستخدامها بالكتابة على ظهرها باللغة اليونانية. النص متآكل في البداية والنهاية. يرجع تاريخ هذه البردية إلى **ما بين القرن السابع والقرن الثامن الميلادي،** ومصدرها غالبًا هو منطقة الأشمونيين (وهي قرية بمركز ملوي بمحافظة المنيا حاليًا)[١١٠]. وقد نشرها MacCoull عام ١٩٩٤م مع ترجمة باللغة الإنجليزية[١١١].

---

١٠٩ انظر استخدام اللغات في مصر في العصور القديمة:
Arietta Papaconstantinou, 'Introduction', in: *The multilingual experience in Egypt from the Ptolemies to the 'Abbāsids*, (Farnham: Ashgate 2010), pp. 1-16.

110 S. Timm, *Opt. cit.* , Bd. 1, (Wiesbaden, 1984), S. 198- 220.

111 Leslie S. B. MacCoull, 'A Nativity Hymn from Egypt in the Coptic Museum' in: *Archiv für Papyrusforschung und verwandte Gebiete* 40/2, (1994), pp. 127-132.

النص:

1	ἰδού· .. .. σαιτο· φύσιν· ὁ ἀ-
2	σώματος· ἡμῖν· ἐτέχθη σήμε-
3	ρον· βασιλε(ύ)ς κ(αὶ) κ(ύριο)ς· συ̣(μ)προσῆλθ(ε)·
4	Ἠσαί(ας) μέγας προφήτη(ς) ἐκ(ή)ρηξ(ε)
5	κ(αὶ) λέγ(ε)ι· ἰδοὺ κ(αὶ) ἡ πάρθενος τέξ(ε)τ(αι)
6	υ(ἱὸ)ν θ(εο)ῦ· τὸν ἐμμανουήλ· κληθήσε-
7	ται· μεθερμηνευόμενον χ(ριστὸ)ς μεθ’ ἡ-
8	μῶν· κ(αὶ) μήτρας· τῆς παρθενικῆς
9	]νον ὡς βρέφος· κ(αὶ) περι{·} τομῆς
10	κ̣ο̣λ̣υ̣μβήθρας· κ(αὶ) ἔκλησιν ὀνό-
11	ματος· κατὰ γένναν ὃν τοῦ αἰῶ-
12	νος . . . π̣ρ̣ο̣ κ(αὶ) ἐτίμησα(ν)·
13	Χάριτι κ(αὶ) σοφία . . . ρμις κ(αὶ) ἡλικίαν
14	προκόπτει ὡς
15	κ(αὶ) σάρκα ἐφέρησεν ἐκ τῆς παρθένου
16	ἀλ(η)θῶς· μέγα κ(αὶ) παράδοξον μυστήρι-
17	ον· ὃς ὑπὸ τῶν χερουβὶμ κ(αὶ) σεραφὶμ

ها غير الجسدي وُلِد اليوم لأجلنا. الملك والسيد جاء. وقد صرخ إشعياء النبي العظيم قائلاً: هو ذا العذراء ستلد ابن الله، وسيُدعى عمانوئيل؛ الذي تفسيره المسيح معنا(!)[١١٢]، وكرضيعٍ من رحم طاهر [خضع] للختان. ودعوا اسمه الذي قبل الدهور وذلك بمقتضى ميلاده... وقد نمى في النعمة والحكمة والقامة، وأخذ جسدًا من العذراء بالحقيقة [١١٣]. إنه سر عظيمٌ وعجيبٌ: أن الذي

---

[١١٢] لا يوجد في كتابات الآباء ما يشير إلى هذا التفسير، (وقد أكد لي ذلك الأب الدكتور Philippe Luisier وذلك أثناء محاضرته بعنوان 'تعبير (عمانوئيل) في التقليد الكنسي قبل القديس كيرلس' ألقاها في المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، بتاريخ ٢٠١١/٩/٦م) ، ولكن هناك ارتباط وثيق عند الآباء بين المصطلحات 'يسوع' ، 'المسيح'، 'عمانوئيل'، انظر مثلاً: القديس إيرينيؤس، الكرازة الرسولية، ٥٣. (*كتاب الكرازة الرسولية للقديس ايرينيوس*، مع دراسة عن حياته وتعليمه، ترجمة وتقديم: د. نصحي عبد الشهيد، د. جورج عوض إبراهيم، (نصوص آبائية ٩٤)، أغسطس م٢٠٠٥، صـ ١١٩-١٢١).

[١١٣] انظر: صلاة الاعتراف في القداس الباسيلي. (القمص عبد المسيح صليب المسعودي، الخولاجي المقدس، ط٤، ٢٠٠٦م، صـ ٢٧٧-٢٧٨). انظر أيضًا:

L.R. Wickham, ed./trans., *Cyril of Alexandria: Select Letters* (Oxford 1983), pp. 6-11, 16-19, 28-33.

18 ὑμνούμενος [•] κ(αὶ) δοξαζόμενος
19 ἐ]ν κόλπῳ ε...μενων κατέκ(ε)ιτο γάλα
20 παρθενικῆς τ̣ετροφ(η)μένον ὡς παιδί-
21 [ον κ. τ. λ.]

يسبحه ويمجده الشيروبيم والسيرافيم اتكأ على صدرها، وكطفلٍ صغيرٍ كان يتغذَّى من لبن بتولي....

ملاحظة أخيرة يذكرها MacCoull، وهي أن الكنيسة المصرية، رغم زوال الحكم البيزنطي وبداية استخدام اللغة العربية، ظلّت تحافظ على تلاوة تسابيحها باللغة اليونانية أو باللغة القبطية حتى وقت متأخر من التاريخ، ويرى في ذلك ارتباطًا وثيقًا بين النصوص الليتورجية بالعمق الإيماني للكنيسة، فالتسابيح الكنسية هي بالحقيقة تكشف عن روح الكنيسة وتَستَعلن إيمانها.

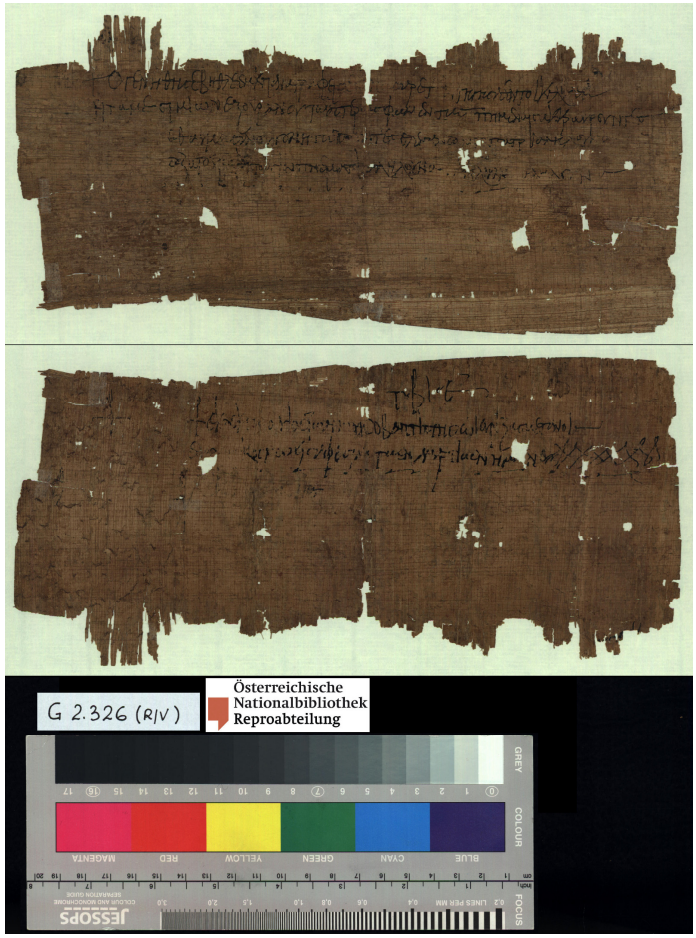

صورة مخطوط *P. Vindob. G. 2326*

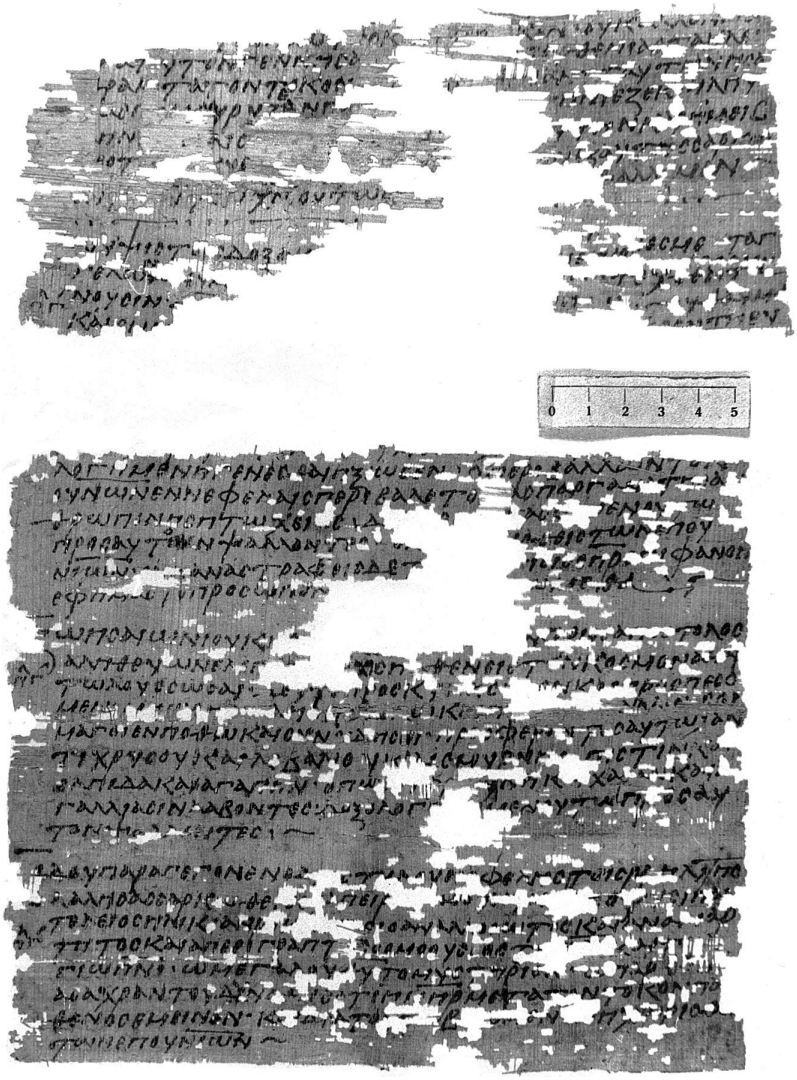

صورة مخطوط *P. Vindob. G. 19.934*